لهم ممن يقتاسون به ويتوازنون فيه حتى يستقيموا على مراشدهم ومصالحهم ، فالامام كأنه ميزان من عقل ، فهو يتسلط فى الحكم على الناقص والوافى من كل ما هو بسبيله ، ثم لا خلاف عليه إذ كانت فيه أوزان القوى وزناً بعد وزن ، وكانت فيه منازل أحوالها منزلة بعد منزلة .

هو إنسان تتخير بعض المعانى السامية لتظهر فيه بأسلوب عملى ، فيكون فى قومه ضرباً من التربية والتعليم بقاعدة منتزعة من مثالها مشروحة بهذا المثال نفسه ، فإليه يرد الأمور فى ذلك وبتلوه يتلى وعلى سبيله ينهج ، فما من شىء يتصل بالفن الذى هو إمام فيه ، إلا كان فيه شىء منه ؛ وهو من ذلك متصل بقوى النفوس كأنه هداية فيها لأنه بفنه حكم عليها ، فيكون قوة وتنبيهاً وتسهيلا وإيضاحاً ، وإبلاغاً وهداية ، ويكون رجلا وإنه لمعان كثيرة ، ويكون فى نفسه وإنه لفى الأنفس كلها . ويعطى من إجلال الناس ما يكون به اسمه كأنه خلق من الحب طريقُه على العقل لا على القلب .

ولعل ذلك من حكمة إقامة الخليفة فى الاسلام ووجوب ذلك على المسلمين ، فلابد على هذه الأرض من ضوء فى لحم ودم ، وبعض معانى الخليفة فى تنصيبه كبعض معانى « الشهيد المجهول » فى الأمم المحاربة المنتصرة المتمدنة : رمز التقديس ، ومعنى المفاداة وصمت يتكلم ، ومكان يوحى ، وقوة تُستمد ، وانفراد يجمع ، وحكم الوطنية على أهلها بأحكام كثيرة فى شرف الحياة والموت بل الحرب مخبوءة فى حفرة ، والنصر مغطى بقبر ، بل المجهول الذى فيه كل ما ينبغى أن يعلم .

***

فعصرنا هذا مضطرب مختل إذ لا إمام فيه يجتمع الناس عليه ، وإذ كل من يزعم نفسه إماما هو من بعض جهاته كأنه أبو حنيفة ولكن بغير فقه .

ولعمرى ما نشأ قولهم « الجديد والقديم » إلا لأن هنا موضعا خاليا يظهر خلاؤه مكان الفصل بين الناحيتين ويجعل جهة تنحاز من جهة ، فمنذ مات الامام الكبير الشيخ محمد عبده رحمه الله جرت أحداث ، وتأت رءوس ، وزاغت طبائع . وكأنه لم يمت رجل بل رفع قرآن .

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

جيلان

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« ألا تعرفنى ما هذا الجديد ؟ »

ولم يكن كلامنا فى الأدب أو الفنون وإنما كانت المساكن والأحياء هى مدار الحديث . وكان الرجل يناهز الستين ولكنه فى نشاط ابن العشرين ، وأنا آنس به وأسكن إليه ، ويسرنى أن أجلس بين يديه وأصغى — أو لعل الأصح أن أقول أنظر — إلى عباب حديثه المتحدر فقد كان يذكرنى بالبحر ويروعنى مثله بمثل فيضه الزاخر

فقلت له « ياسيدى ، العارف لايعرف . . ولكنى أستأذنك فى أن أقول لك إنكما جيلان — أنت وبنوك — ومن حقك أن تتبرم بهم وتسخط على نزعتهم فى الحياة وتستسخف مطالبهم فيها وغاياتهم منها . . أنت حر فى ذلك ولكن من حقهم أيضاً أن يضجروا منك لأنهم ينزعون غير نزعتك وأن يطلبوا من الحياة غير ما تطلب ، لأن وجوهها اختلفت . وأظن أن هذا عدل »

فصاح بى : « عدل ؟ . كيف تقول ؟ . عدل أن يخرجونى من بيتى ويحملونى إلى حى أنا فيه غريب لا أشعر إلا بالوحشة ؟ . ويقصونى عن أحبابى وأصحابى وعشراء الصبى وأخدان العمر كله ؟ . ما عيب بيتنا بالله ؟ . إنى لست متعنتا . . أنت تعرف بيتنا فهل تعرف فيه عيباً ؟ »

قلت « كلا . . وأشهد أن لاعيب فيه . . واسع وصحى وأسباب الراحة فيه موفورة . . نعم لاعيب فيه ولكنى أعترف بأنى لو كنت ابنك لما فعلت إلا ما فعل بنوك . . أى لخرجت منه »

فقال « أنت كنت تفعل ذلك ؟ . حاشا لله . . إنك عاقل . »

قلت : « المسألة ليست مسألة عقل . . وإنما هى مسألة حياة تغيرت وجوهها وزمن اختلفت المطالب فيه »

قال : « إنى أجادلهم كل يوم . . الكلام فى هذا لا ينتهى بيننا »

قلت « وهذا حسن . . وجدتم على الأقل موضوعاً للكلام لاتخشون أن ينضب معينه »

قال : « اسمع . إنى رجل كبير وقد أديت واجبي وربيت أبنائى وهم الآن رجال يعتمدون على أنفسهم ولا يحتاجون إلى . . فرغت من هذا الأمر . . وأحب أن أقضي مابقى من عمرى فى بيتى . . بيتى أنا . . البيت الذى ورثته عن أبى وقضيت فيه خير عمرى . . بل عمرى كله . . وحولى جيرانى . . أعرفهم ويعرفونني وأستطيع أن أجدهم عند الحاجة . . لقد رفسنى مرة حمار فى الطريق فأغمى على فلما أفقت الفيتنى فى بيتى على سريرى . . هل تعرف من حملنى ؟ . جيرانى . . عرفنى أهل الحى فحملونى إلى بيتى . لو وقع لى هذا فى الحى الجديد الذى نقيم فيه الآن لجاء الأسعاف وحملنى إلى مستشفى . . »

قلت « معقول . . أنت تفضل أن يحملك جيرانك وأهل حيك إلى بيتك فى مثل هذه الحالة ولكن بنيك يفضلون فى مثل هذه الحالة أن يحمل المرء إلى المستشفى . . زمنك لم يكن يعرف المستشفيات فأنت تنكرها وتشفق من أن تحمل إليها ولعلك تتطير من دخول المستشفى ، وعسى أن يكون اسم المستشفى مقروناً فى ذهنك بفكرة الموت . ولكن الزمن تغير ، وارأى فى المستشفيات اختلف ، وأبناء هذا الزمن الجديد يؤثرون العلاج فى دوره المجعولة له على العلاج فى البيوت ؛ فالذى تعده أنت مزية يرونه هم نقصاً . والذى تراه أنت شراً يعتقدون هم أنه خير . . وهذا بعض الفرق بين الزمنين »

قال : « ولكنى كبرت ياسيدى . . ماذا يضرهم لو تركونى أقضى الأيام الباقية لى كما أحب ؟ »

قلت : « إنه لا يضرهم . وثق أنهم لا يأبون عليك ولا يكرهون لك أن تحيا حياتك على هواك ولكن تيار الزمن حملهم - وحملك معهم - إلى حيث لا تشعر . إلا بالقلق وعدم الرضى ؛ والذنب للزمن لا لهم »

قال « إنهم يضحكون منى حين أقول لهم إن بيتنا قريب من المساجد فأنا أستطيع بلا عناء أن أزور السيدة نفيسة أو السيدة زينب وأن أصلى المغرب فى سيدنا الحسين ثم أشرب الشاى المغربى البديع هناك فى قهوة من القهوات القديمة . وأنتظر حتى أصلى العشاء ثم أعود إلى البيت . . يضحكون ياسيدى ويجعلون هذا موضوعاً لفكاهاتهم . . لا يعجبهم إلا جروبى وشارع عماد الدين والسينما . . »

قلت « أنت محق وهم غير مخطئين . . لقد فرغت من حياتك أو من واجبك فيها ، فأنت تريد أن تفرغ لربك . ولكنهم هم فى بداية الأمر وأول مراحل الحياة ، ولكل حياة بداية ونهاية ؛ ومن العنت أن تفرض عليهم فى البداية الحالات النفسية التى لا تكون إلا فى النهاية . وأنت لا تشعر بالحاجة إلى السينما مثلا لأنك لم تعتدها إذ لم يكن لها فى زمنك وجود ، وقد عشت بغيرها أكثر عمرك ففى وسعك بسهولة أن تعيش بقية العمر من غير أن يخطر لك أن السينما لازمة أو أنها ملهاة مستحبة ، ولكنهم هم نشأوا فى ظلها فصارت من وجوه حياتهم المألوفة ، وأحسبهم حين تعلو بهم السن ويفرغون من أمور الدنيا سيظلون يذهبون إلى السينما كما تذهب أنت الآن إلى المساجد للعبادة ؛ ولن يكونوا حينئذ أقل منك زهداً فى الدنيا أو انصرافاً عن باطلها أو ابتغاء لرضى الله . ومن يدرى ؟ . . عسى أن تكون هناك يومئذ أشياء جديدة غير السينما يرتادها أبناؤهم فينكر أبناؤك على أحفادك هذا الشغف بالجديد الذى جاء به الزمن كما تنكر أنت اليوم على بنيك كلفهم بالسينما . لكل زمن ياسيدى حكمه ، ولكل جيل روحه . . ويحسن بالمرء أن يوطن نفسه على ذلك »

قال : « نعم نعم . . إنى لست جامداً ولا متعنتاً بل أنا أدرك ذلك كله »

قلت « إن الادراك وحده لا يكفى ، والمعول فى مثل هذه الأمور على العادة لا على الادراك »

قال « صحيح . . ولكنى مظلوم . . تصور أنى لا أشعر برمضان فى هذا الحى . . لا نسمع المدفع ، ولا يدق الباب علينا أحد ليوقظنا للسحور . . ولا نسمع الطبلة القديمة . . ولا المؤذن . . لا . . لا شىء من ذلك . وقد احتجنا إلى المنبه لنستيقظ على صوته حتى لا يفوتنا السحور . . تصور هذا . . الحق أقول لك إنى كنت لا أشعر أن هذا هو رمضان ، ولا أكاد أصدق أن صيامى مقبول . . أهذا هو رمضان . . ؟ من يقول هذا ؟ . . أين الأولاد الذين يطوفون بالمصابيح فيها الشموع الموقدة . . أين صيحات فرحهم وسرورهم بليالى رمضان . . أين السهرات اللذيذة . . سهرات الإخوان فى البيوت . . إنى أحس فى هذه الشقة الضيقة التى نسكنها أنى يتيم . . صحيح »

قلت « أو لست يتيما . . »

قال « أعنى أنى أشعر بوحشة . . والباقى من عمرى قليل ، وكنت أرجو أن يتركونى أقضيه فى بيتى وبعد أن أموت يمكنهم أن يصنعوا ما شاءوا . . وأظن أن هذا عدل »

قلت «عدل ؟ . . من يدرى؟ . . هل من العدل أن تفرض على ثلاثة أو أربعة ضربا من الحياة لا يوافق إلا واحدا هو أنت؟ . . ربما كان العدل أن تحتمل أنت ما يوافق الأربعة . . على الأقل هذا أقرب إلى العدل أو أشبه به . . العدل؟ . . من يدرى ياسيدى . . »

قال «إنى أنظر إلى فائدتهم . . نحن الآن نخسر خمسة جنيهات كل شهر أجرا للسكنى ، ولو كنا فى بيتنا لاستطعنا أن نقتصد هذا المبلغ أو أن ننفقه فيما هو أولى وألزم . . ألست توافقنى ؟ »

قلت « تسألنى الآن فجوابى نعم ، ولو سألتنى قبل عشرين سنة لكان جوابى لا . . الشباب يفعل ما يعجبه لا ما ينفعه . . ينفق بلا حساب لأنه يشعر بفيض الحيوية ولا يشعر بالحاجة إلى التدبير والاقتصاد . . مليونير . . كيف يبالى بالقروش والملاليم؟ ؟ »

قال « ولكن ألا ينبغى أن يفكروا فى المستقبل ويعدوا العدة للضعف ؟ . »

قلت « إن هذا يكون أحجى ولكن الشباب رأسه مثل التليفون . . أعنى أنه يستطيع أن يقصى السماعة عن أذنه ويضعها فلا يسمع إذاهم صوت النذير بالكلام الثقيل . . »

قال : « يا شيخ لا تقل هذا . . إنه جنون »

قلت « صدقت . . إنه جنون . . ولكنه جنون القوة . . والشباب ينفض عن نفسه الهموم كما تنفض عن ثيابك التراب بأصبعك . . بلا عناء ولا اكتراث . . فى وسعه ذلك لأن عباب القوة زاخر . . والعقل يجىء . . مع الضعف . . والحساب له وقته . . أوانه ، عند ما يحس المرء بأنه بدأ ينفق من رأس ماله . . يا سيدى هل تعرف مهندسا استطاع أن يوصد بوابات الخزان فى إبان الفيضان . . إنما يكون الخزن ويتيسر التدبير عند ما تفتر قوة الماء الدافق ويؤمن شر اندفاعه على كيان الخزان . . كذلك الإنسان . . هل كنت تنفق بحساب دقيق فى شبابك ؟ . . »

فأطرق ، فقلت « إنك تنسى أنك كنت كذلك . . لو استطاع الكهول أن يذكروا كيف كانوا فى شبابهم ولم يستغرقهم الإحساس بالحاضر وحده . . لعذروا . . »

قال « يعنى إنك موافق على ظلمى »

قلت « اسمع . . لو كان أبى حيا لما صبرت على معاشرته ولا أطقت الحياة معه فى بيت واحد وتحت سقف واحد . . فأبناؤك خير منى ألف مرة »

قال « إن لك أبناء ؟ »

قلت « نعم ولا أسف ولا سرور . . وسأعنى بأن أدعهم يحيون حياتهم وحدهم وعلى هواهم حين يستغنون عن هذه التكأة التى هى أنا . . »

قال « إنى لا أضيق على أبنائى . . أنا معهم كأخيهم »

قلت « ليس فى وسعك أن تضيق عليهم . وحسبك منهم أنهم أكرم من أن يضيقوا عليك . . المثل يقول : إنك لا تستطيع أن تأخذ زمانك وزمان غيرك . . ولو استطاع الإنسان ذلك لما كان عدلا »

قال « صحيح . . بس مشوار من العباسية إلى السيدة »

قلت « ألا تعلم أن الله خلق الترام »

قال « ولكنى أحب المشى . . مفيد »

قلت « فى وسعك بفضل أبنائك أن تستفيد الآن جدا من المشى »

ابراهيم عبد القادر المازنى

بعد أيام قلائل يظهر كتاب

الحاكم بأمر الله

وأسرار الدعوة الفاطمية

بقلم محمد عبد الله عنان

مؤلف مصر الاسلامية ومواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام وابن خلدون وديوان التحقيق وغيرها

وهو أتم وأوفى بحث كتب عن الحاكم بأمر الله ، وشخصيته العجيبة ، وحياته المدهشة واختفائه المؤسى ؛ وعن نظم الخلافة الفاطمية ورسومها ومواكبها الباذخة ؛ وعن أسرار الدعوة الفاطمية ومجالس الحكمة الشهيرة

مجلد فى ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير مطبوعاً أجود طبع

يصدر بعد أيام قلائل فقط